Jordan Journal of Islamic Studies

Volume 14 | Issue 1 Article 7

1-6-2018

نجاة أتباع الأديان في القرآن في ضوء "آية النجاة" The Salvation of Followers of Religions in the Qur'an In the Light of the "Salvation Verse": (Al-Baqarah: 62)

Amer Adnan Al Hafi
Al al-Bayt University, alhafy30@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois

Part of the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

Al Hafi, Amer Adnan (2018) "نجاة أتباع الأديان في القرآن في ضوء "آية النجاة" The Salvation of Followers of Religions in the Qur'an In the Light of the "Salvation Verse": (Al-Baqarah: 62)," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 14: Iss. 1, Article 7.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss1/7

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

i: ???? ????? ??????? ?? ?????? ?? ??? "??? ??????" The Salvation of Followers of Religions in the Qur'an In the Light of the "Salvation Verse": (Al-Baqara

نجاة أتباع الأديان في القرآن في ضوء "آية النجاة" (البقرة: ٦٢)

د. عامر عدنان الحافي*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٧/٤/٢٦م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٧/٧/١٧م

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على نظرة القرآن الكريم من مسألة إمكانية نجاة أتباع الأديان الأخرى، من خلال دراسة ما يمكن تسميته بـ "**آية النجاة**"، وهي الآية ٦٢ من سورة البقرة، والتي يقول الله فيها " **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**"، ومحاولة استقراء أقوال العلماء في تفسير الآية وتحليلها وتصنيفها والخلوص إلى قول جليّ، يسهم في صياغة النظرة الإسلامية تجاه أتباع الأديان الأخرى بالاستناد إلى القرآن الكريم.

كلمات مفتاحية: النجاة، آية النجاة، آية الفصل، الآيات الثلاث، الأديان الثلاثة.

Abstract

This study seeks to identify the view of the Qoran towards the question of **salvation** of the other religions followers by studying what I called "**verse of salvation**" a verse 62 of which God says, where "Those who believe, and those who are Jewish, and the Christians, and the Sabeans -any who believe in God and the Last Day, and act righteously- will have their reward with their Lord; they have nothing to fear, nor will they grieve", and try to extrapolate the Opinions of Muslim interpreters of the verse, analyze, classify them and get a clear conclusion can contributes in the reformulation of Islamic outlook toward the followers of other religions, based on the Holy Quran.

المقدمة:

تبرز مسألة نجاة أتباع الأديان الأخرى بوصفها من أبرز المعضلات العقدية، التي تواجه الفكر الديني على وجه العموم، ومع تطور دراسات الأديان وانفتاحها على العلوم الاجتماعية والإنسانية، فإننا ما نزال بعيدين عن الحفر في بنية العقل الديني، أو الكشف عن منطلقاته الذاتية، وحصانتها المفارقة، والمشفوعة بكل الضمانات التي تحول دون مقاربتها وعقيدة الآخر، كما أن العديد من أتباع الأديان ما يزالون يعتصمون بتلك الثقافة السائدة، التي أنتجت في ظروف تاريخية سيطرت فيها النظرة الدينية الصراعية، مع الأخذ بالحسبان أن هذه النظرة لا تتفق والثقافة الإسلامية الصحيحة، التي تفتح نوافذ التعارف، وتتجنب نزعات الإقصاء والتكفير.

لم تحظ مسألة نجاة الآخر بالعناية المناسبة من قبل الباحثين المسلمين، بل إن العديد من الباحثين المثقفين يترددون في التصريح عن آرائهم في هذه المسألة؛ خشية أن تنالهم سهام اللعن أو التكفير، فمقولة "من لم يكفر الكافر فهو كافر" ما تزال مشرعة حتى ونحن في أكثر عصور العقل الإنساني شهوداً وشموخاً، وعوضاً عن أن يكون الآخر مشروع رحمة وهداية ومؤاخاة، فإذا به يتحول إلى مشروع كراهية وعداء.

* أستاذ مشارك، كلية الشريعة، جامعة آل البيت.

Published by Arab Journals Platform, 2018 1

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وستة مطالب وخاتمة، جاء المطلب الأول: في سبب نزول الآية والروايات المذكورة وتحليلها ونقدها، والمطلب الثاني: في المعنى المقصود بـ"الذين آمنوا" عند المفسرين، والمطلب الثالث: جاء في ذكر آراء المفسرين في قوله تعالى: "من آمن منهم". والمطلب الرابع: جاء في علاقة الآية بما قبلها وما بعدها، والمطلب الخامس: الحكمة من تشابه الآية في سورتي المائدة والحج، والمطلب السادس: تعرض لدراسة القول بنسخ الآية.

أهمية الموضوع:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية التعرف على آراء المفسرين تجاه مسألة نجاة أتباع الأديان الأخرى، وهي من القضايا الشائكة التي أفضت في كثير من الأحيان إلى تعميق النزاعات، وتسويغ النزعات الإقصائية والتكفيرية، بالإضافة إلى إعاقتها لبناء علاقة تشاركية بين أتباع الأديان المختلفة. كما تبرز أهمية الدراسة من خلال سعيها إلى استقراء أقوال المفسرين، وأسبابِ اختلافهم في فهم "آية النجاة" في ضوء الحديث عن قيم التعددية والتنوع، التي تعد من أهم الشروط التي لا تنهض المجتمعات الإنسانية دونها.

إشكاليات الدراسة:

تسعى هذه الورقة إلى الإجابة عن الأسئلة التي أثارتها آية (البقرة: ٦٢)، ومن أبرز تلك الأسئلة:

١- من المقصود بـ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ في مطلع الآية؟

٢- وما سبب اختلاف العلماء في هذه العبارة، وما علاقة معناها بنجاة أتباع الأديان الأخرى؟

٣- لماذا لم تذكر الآية اشتراط نبوة محمد ﷺ مع الشروط الثلاثة للنجاة في الآية؟

٤- هل تتضمن الآية القول بإمكانية نجاة أتباع الأديان الأخرى بعد بعثة محمد ﷺ؟

٥- ما علاقة آية البقرة بآيتي المائدة (٦٩) والحج (١٧)، وما الدلالات المستخلصة من ذلك والمتعلقة بنجاة أتباع الأديان الأخرى؟

منهج الدراسة:

يقوم منهج البحث في هذه الدراسة على استقراء أقوال المفسرين المتعلقة بالآية الكريمة، وتصنيفها، وعرض أدلتهم، وتحليلها، كما قام الباحث بمقارنة الآية بآيتي المائدة والحج، ومحاولة استخلاص الدلالات الممكنة من تشابه الآيات الثلاثة.

خطة الدراسة:

مقدمة.

المطلب الأول: سبب نزول الآية.

المطلب الثاني: المقصود بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾.

المطلب الثالث: المقصود بقوله تعالى: ﴿**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**﴾.

المطلب الرابع: علاقة الآية بما قبلها وما بعدها ودلالاتها.

المطلب الخامس: تشابه الآية مع آيتي المائدة والحج ودلالاتها.

: ???? ????? ??????? ?? ?????? ?? ??? "??? ??????" The Salvation of Followers of Religions in the Qur'an In the Light of the "Salvation Verse": (Al-Baqara

المطلب السادس: القول بنسخ الآية ودلالاته.

الخاتمة.

المطلب الأول: سبب نزول الآية:

جاء في في كتب التفسير حول سبب نزول الآية أربع روايات تختلف في ألفاظها ودلالاتها، وسوف أذكر كل رواية ثم أعقبها بملاحظات مستخلصة منها:

الرواية الأولى: روى الطبري بإسناده عن السدي قال: "نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي ﷺ (وذكر قصة إسلام سلمان ...) فبينما هو يحدثه (النبي)، إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبيًا. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال له نبي الله ﷺ: يا سلمان، هم من أهل النار. فاشتد ذلك على سلمان، وقد كان قال له سلمان: لو أدركوك صدقوك واتبعوك. فأنزل الله هذه الآية: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر "(١).

يلحظ على هذه الرواية ما يأتي:

١- إن ما جاء في هذه الرواية من قوله "ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبيًا" وقوله: "وقد كان قال له سلمان: لو أدركوك صدقوك واتبعوك". وهي زيادة لم ترد في الرواية الثانية للطبري؛ التي رواها بإسناده عن مجاهد؛ ولا في رواية ابن أبى حاتم والواحدي.

٢- إن قول سلمان "كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبيًا" يتعارض مع ما جاء في نهايتها وهي قوله: "وقد كان قال له سلمان: لو أدركوك صدقوك واتبعوك" فالمقطع الأول: يشير إلى إيمانهم الجازم بالنبي ﷺ، أما الثاني: فهو يشير إلى توقع سلمان أن أصحابه سوف يؤمنون بالنبي ويصدقونه في حال إدراكهم لبعثته. وهذا يشير إلى احتمال أن تكون الزيادة قد جاءت إدراجا من الراوي كمحاولة تفسيرية لسبب تغير الحكم الذي تضمنته الآية والذي قضى بنجاتهم بعد أن حكم النبي بهلاكهم.

٣- إن الإقرار بصحة هذه الزيادة يقتضي الحكم على كل من لم يدرك بعثة النبي محمد بالهلاك حتى وإن كان من الصالحين من أتباع الأنبياء السابقين، وهذا ينافي العديد من النصوص القرآنية التي شهدت بإيمان بعض أهل الكتاب، كما في قوله تعالى: **﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[آل عمران: ١١٣-١١٤].

كما ينافي كون التكليف على قدر الوسع كما في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[الاعراف: ٤٢].

الرواية الثانية: روى الطبري بإسناده عن **مجاهد** قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾** الآية، قال: سأل سلمان الفارسي النبي ﷺ عن أولئك النصارى وما رأى من أعمالهم، قال: لم يموتوا على الإسلام. قال سلمان: فأظلمت علي الأرض، وذكرت اجتهادهم، فنزلت هذه الآية: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾**. فدعا سلمان فقال: نزلت هذه الآية في أصحابك. ثم قال النبي ﷺ: من مات على دين عيسى ومات على الإسلام قبل أن يسمع بي، فهو على خير؟ ومن سمع بي اليوم ولم يؤمن بي فقد هلك(٢).

Published by Arab Journals Platform, 2018 3

ويمكن الخروج بالملحوظات الآتية على الرواية الثانية:

١- قول النبي "من مات على دين عيسى ومات على الإسلام قبل أن يسمع بي، فهو على خير" يدل على أن من أتباع دين عيسى عليه السلام ناجون قبل بعثة النبي محمد.

٢- قوله: "ومن سمع بي اليوم ولم يؤمن بي فقد هلك" يؤكد إمكانية نجاة أتباع الأنبياء الذين لم يسمعوا بالنبي محمد، أو سمعوا به، ولم يعرفوا حقيقة رسالته.

٣- أن المقصود بالسماع بالنبي محمد ﷺ، ليس مجرد بلوغ الخبر وإنما هو إدراك صدق النبي والتحقق من صحة ما جاء به، وهذه مسألة قد أشكل فهمها على كثير من الناس عندما ظنوا أن غير المسلمين يحكم عليهم بالهلاك لمجرد سماعهم بالإسلام أو بنبيه محمد وعدم أتباعه، وهذا بعيد عن الصواب، إذ إن تحول الإنسان إلى دين آخر غير الذي ولد عليه هو أمر في غاية الصعوبة ولا يحدث لمجرد السماع بوجود دين آخر أو نبي جديد، كما أن معظم الناس لا يملكون الجرأة أو القدرة على البحث في التساؤلات الجوهرية للحياة التي تقتضي إعادة النظر فيما لديهم من عقائد، أو البحث عن إجابات خارج منظوماتهم الثقافية السائدة.

<u>الرواية الثالثة</u>: أخرج الواحدي عن مجاهد قال: لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه قال: "هم في النار"، قال سلمان: فأظلمت علي الأرض، فنزلت "إن الذين آمنوا والذين هادوا" ... إلى قوله "يحزنون" قال: فكأنما كشف عني جبل"(٣).

ويلاحظ على هذه الرواية ما يأتي:

١- إن قول سلمان "فكأنما كشف عني جبل" لم يرد في الروايتين الأولى والثانية، وهذا يدل على أن سلمان قد فهم من الآية الكريمة نجاة أصحابه الذين لم يدركوا النبي محمدا ﷺ ولم يتبعوا شريعته.

٢- قد يكون المقصود بالظلام الذي شعر به سلمان "فأظلمت علي الأرض"، هو شعوره بالظلم الذي يمكن أن يلحق المؤمنين العابدين من أتباع الشرائع الأخرى، الذين اجتهدوا في طاعة الله ومحبته ولم يتسنَّ لهم معرفة الإسلام، فما هو ذنب من ولد على ديانة قومه، وكان من المحسنين، وسعى في عمل الصالحات وترك المنكرات؟ وهل كان باستطاعة هؤلاء أن يدركوا بعثة النبي؟ وهل من العدل أن يكلف الله خلقه فوق ما يطيقون وبما لا يعلمون؟

٣- إن القول بهلاك غير المُدرِك لنبوة محمد، أو غير العارف لحقيقة رسالته، يتنافى مع ما فهمه سلمان من حقائق الإسلام، التي رأى فيها الصورة الأكمل لعدل الله ورحمته.

<u>الرواية الرابعة</u>: عن ابن أبي حاتم بإسناده عن مجاهد، قال: قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرتُ من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا**﴾ الآية"(٤).

يلحظ على هذه الرواية ما يأتي:

١- إنها أكثر الروايات اختصارا، فهي لم تذكر اسم الديانة التي كان عليها سلمان ومن معه، وإنما اقتصرت على ذكر أنهم "أهل دين كنت معهم"، وربما تكون هذه الرواية هي النص الأساس وما جاء في الروايات الأخرى من زيادات هو بمثابة إدراج وتفسير من الرواة؛ لما حسبوه يحل إشكالاً في الرواية.

٢- لم تذكر هذه الرواية أن النبي حكم بأنهم من أهل النار، وهذا أقرب إلى مقام النبوة وأخلاقها حيث لا يتوقع من النبي أن يقطع بحكم غيبي يتعلق بمصائر الأمم السابقة دون إعلام من الله.

المطلب الثاني: المقصود بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾:

ذهب من رجعت إليهم من المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى أقوال كثيرة جداً يمكن تصنيفها إلى ثلاثة عشر قولا.

القول الأول: أنهم من صدّق بمحمد ﷺ.

يقول الطبري: "فهم المصدقون رسول الله فيما أتاهم به من الحق من عند الله"(٥). ويقول النيسابوري: "أي من آمن بمحمد"(٦). ويقول الماوردي "قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: صدقوا بمحمدٍ ﷺ(٧).

ويؤكد ابن عاشور على الحكمة من ابتداء الآية بالمؤمنين من أمة محمد بقوله: "ابتدئ بذكر المؤمنين للاهتمام بشأنهم؛ ليكونوا في مقدمة ذكر الفاضلين، فلا يذكر أهل الخير إلا ويذكرون معهم ومن مراعاة هذا المقصد قوله تعالى في سورة النساء ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ "أي الذين هادوا" وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية، ولأنهم القدوة لغيرهم كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، فالمراد من الذين آمنوا في هذه الآية هم المسلمون الذين صدقوا بالنبي محمد ﷺ وهذا لقب للأمة الإسلامية في عرف القرآن"(٨).

وممن أخذ بهذا الرأي السعدي والذي يقول: "فأخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة، واليهود والنصارى، والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر، وصدقوا رسلهم، فإن لهم الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر، فهو بضد هذه الحال، فعليه الخوف والحزن"(٩).

ومحصل هذا القول هو إن المراد من "الذين آمنوا" هو لقب للأمة الإسلامية في عرف القرآن.

القول الثاني: إنهم المنافقون من أمة محمد.

وذهب فريق آخر من المفسرين إلى أن المقصود من "الذين آمنوا" هم المنافقون ممن ينتسب إلى أمة محمد، ونسب هذا القول إلى سفيان الثوري "المراد المنافقون. كأنه قال: الذين آمنوا في ظاهر أمرهم، فلذلك قرنهم باليهود والنصارى والصابئين، ثم بين حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم"(١٠). وبه قال الزجاج(١١) والزمخشري(١٢).

وقال الآلوسي إن: "المروي عن سفيان الثوري أنهم المؤمنون بألسنتهم، وهم المنافقون بدليل انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة، وإن عبر عنها بالإيمان لا تجديهم نفعا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا"(١٣).

ومن الملاحظات على هذا القول ما يأتي:

١- ينتقد صاحب فتح القدير (الشوكاني) رأي من قال بأن المراد بالذين آمنوا هم المنافقون، بدلالة جعلهم مقترنين باليهود والنصارى والصابئين، فيقول: "والأولى أن يقال: إن المراد الذين صدقوا النبي ﷺ وصاروا من جملة أتباعه، وكأنه سبحانه أراد أن يبين أن حال هذه الملة الإسلامية وحال من قبلها من سائر الملل يرجع إلى شيء واحد، وهو أن (من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) استحق ما ذكره الله من الأجر، ومن فاته ذلك فاته الخير كله، والأجر دقه وجله"(١٤).

٢- إن من ذهب إلى تفسير "الذين آمنوا" بأنهم المنافقون، اعتمد على قرن ذكرهم مع أهل الكتاب، وهذا فهم بعيد انتقده القرآن على أهل الكتاب عندما ذكر رفضهم المساواة مع غيرهم أمام العدالة الإلهية ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[المائدة: ١٨]، ويخالف المعنى الجلي لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 1, Art. 7

ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء: ١٢٢]، وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧، ٨].

٣- إن صرف معنى الإيمان إلى النفاق هو إخراج للمعنى إلى ضده وليس إلى أحد معانيه مما يعني عدم اتساقه مع مفهوم التأويل، ناهيك عن ظاهر التنزيل.

٤- إن صرف معنى الإيمان إلى النفاق بذريعة ذكر الذين آمنوا مع أتباع الأديان الأخرى ينطوي على نظرة إقصائية واستعلائية لا تنسجم مع عموم الرسالة وتلطفها بالعباد.

٥- إن القرآن قد قرن بين أهل الكتاب والمؤمنين في مواضع عديدة من القرآن كما في قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[المدثر:٣١]. ولم أجد أحدا من المفسرين ذهب إلى أن المقصود بالمؤمنين بآية المدثر هم المنافقون.

٦- إن الاستدلال الذي ذهب إليه بعض المفسرين بأن مخاطبة "الذين آمنوا " بأن يؤمنوا هو دليل على نفاقهم أو عدم إيمانهم هو استدلال غير صحيح، فقد درج القرآن على مخاطبة الذين آمنوا بنبوة محمد ورسالته بالإيمان والعمل الصالح في العديد من الآيات كما هو في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[النساء: ١٣٦].

<u>القول الثالث</u>: إن المراد هم المتدينون بدين محمد، سواء كانوا من المخلصين أو المنافقين، وهو قول البيضاوي[١٥]، واختاره القاضي[١٦]. وأطفيش في هميان الزاد[١٧]. ويدخل في هذا القول عموم من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما في قوله: "أي: قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، محمد ﷺ بعد بعثته ﷺ وهذا على عمومه من غير اعتبار موافقة القلب، ولا عدمها ولا الوفاء بالعمل الصالح ولا عدمه، وإنما اشترط موافقة القلب والعمل الصالح بعد ذلك بقوله: {من آمن ... إلخ}"[١٨].

وهذا القول يجمع بين القولين الأول والثاني، وهو أوجه الأقوال للأسباب الآتية:

١- إن الأصل في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في عموم القرآن، يدل على من اتبع النبي سواء كان صادقاً في نفسه أم كان منافقاً.

٢- إن هذا القول يتسق وإطلاق تسمية المؤمنين على المسلمين كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[الذاريات: ٣٥، ٣٦].

٣- إن الخطاب في الآية قد جاء للناس كافة ولعموم أتباع الأديان وهذا يعني إمكانية نجاة أتباع تلك الأديان طالما أخذوا بالأصول العامة للنجاة.

<u>القول الرابع</u>: إن المراد هم من آمن بالنبي محمد حقا وثبت على إيمانه.

وهو قول نسبه الرازي للمتكلمين "المراد أنَّ الذين آمنوا بمحمد –عليه الصلاة والسلام– في الحقيقة، وهو عائد إلى الماضي، ثم قوله: "من آمن بالله" يقتضي المستقبل، فكأنه قال: إن الذين آمنوا في الماضي، وثبتوا عليه في المستقبل"[١٩].

وقد يظهر أن هذا الرأي يختلف عن الرأي الأول من حيث الثبات على الإيمان، إلا أن المتمعن فيه يجد أن الثبات على الإيمان هو من مقتضيات الإيمان نفسه، وبذلك فإن القول الرابع يدخل في معنى القول الأول.

<u>القول الخامس</u>: إن المراد هم المؤمنون بالأنبياء السابقين، ولم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ.

وهو قول ذكره الواحدي[٢٠]، والثعلبي، بقوله: "الذين آمنوا بالأنبياء الماضين والكتب المتقدمة ولم يؤمنوا بك ولا بكتابك"[٢١].

ويؤخذ على هذا الرأي بعض المآخذ، ومنها:

١- مخالفته لظاهر استعمال عبارة "الذين آمنوا" في القرآن الكريم، والتي يقصد منها في عرف القرآن من آمن بالنبي محمد ورسالته.

٢- إن هذا الرأي يُخرج أتباع النبي محمد من عموم أتباع الأديان، ويضفي على المسلمين سمة الاستعلاء، والانفصال عن غيرهم من الناس.

٣- لا ينسجم هذا القول مع سياق الآية التي تتحدث عن النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل وتذكيرهم بها، وجعلهم مع المؤمنين برسالة محمد في صعيد واحد.

٤- إن الآية ذكرت الذين آمنوا ثم عطفت على ذكر أتباع الأديان الأخرى، مما يدل على تمايزهم، والمعروف أن واو العطف تدل على المغايرة؛ جرياً على أصلها في لغة العرب.

القول السادس: هم المؤمنون بالأنبياء قبل بعثة محمد، سواء من أدرك البعثة منهم ومن لم يدركها.

قال ابن عباس: والمراد بـ «الذين آمنوا» هم الذين آمنوا قبل [مبعث] محمد بعيسى –عليه الصلاة والسلام– مع البراءة عن أباطيل اليهود والنصارى، مثل: قَسّ بن سَاعِدة، وبحيرى الراهب، وحبيب النَّجَّار، وزيد بن عمرو بن نُفَيل، وَورقَة بن نَوْفَل، وسلمان الفَارِسي، وأبو ذر الغفاري، ووَفْد النجاشي(٢٢).

وهذا القول فيه تخصيص لعموم معنى المؤمنين بالنبي محمد ببعضهم، فبعض من آمن به كان من المؤمنين بالأنبياء السابقين، وبعضهم لم يكن كذلك، وهذا التخصيص لا دليل عليه، بالإضافة إلى ذات النقد الذي جاء تعقيبا على القول الخامس.

القول السابع: إنهم الحنيفيون الذين كانوا قبل النبي محمد سواء من آمن به أو من لم يؤمن.

وهو قول للسدي "إنهم الحنيفيون ممن لم يلحق الرسول ﷺ كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل، ومن لحقه كأبي ذر، وبحيرى، ووفد النجاشي الذين كانوا ينتظرون البعثة"(٢٣).

والحنيفيون: تسمية تشتمل على كل من حاد عن عبادة الأصنام. وهذا القول هو عين القول السادس.

القول الثامن: إنهم المؤمنون بعيسى عليه السلام قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

وهو قول لابن عباس –رضي الله تعالى عنهما–: "إنهم المؤمنون بعيسى قبل أن يبعث الرسول ﷺ"(٢٤).

وهذا القول يؤخذ عليه أنه:

١- يتناقض مع ما روي عن ابن عباس بنسخ الآية.

٢- يجعل ذكر النصارى في الآية تكرارا لا طائل من ورائه.

القول التاسع: إنهم من آمن بعيسى من أتباع موسى عليه السلام.

وهو قول رواه السدي عن أشياخه إنهم: "المؤمنون بموسى إلى أن جاء عيسى عليهما السلام فآمنوا به"(٢٥).

والاختلاف بين هذا القول وسابقه أنه يخص من آمن بالمسيح من بني إسرائيل، والواقع أن بعض أتباع المسيح كانوا من غير بني إسرائيل، ولم يكن قد سبق لهم أن آمنوا بموسى قبل إيمانهم بعيسى.

القول العاشر: إنهم أصحاب سلمان الذين قَصّ حديثهم على رسول الله ﷺ فقال له: «هم في النار» فأظلمت الأرض عليه كما روى مجاهد عنه فنزلت عند ذلك الآية إلى: {يَحْزَنُونَ} قال سلمان: فكأنما كشف عني جبل(٢٦).

وهذا القول يلحق بالقول الثامن فأصحاب سلمان كانوا فئة من المؤمنين بعيسى قبل بعثة النبي محمد، كما يؤخذ عليه ما أخذ على القول الثامن.

القول الحادي عشر: كل مؤمن من أي ملة كان.

واستدل أصحاب هذا الرأي بأن {الذين} لفظ عام لكل مؤمن من ملة محمد ﷺ أو من غيرها من الملل، فكأن ألفاظ الآية حصر بها الناس كلهم وبينت الطوائف على اختلافها، وهذا تأويل يقال: إنه قول جمهور المفسرين، ويقول القاضي أبو محمد: "فكأن ألفاظ الآية عدت الطوائف التي يمكن أن تنتقل إلى الإيمان، ثم نفى عنهم الخوف والحزن بشرط انتقالهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وعلى التأويل الأول يكون قوله: {من آمن} في حيز المؤمنين بمعنى ثبت واستمر"(٢٧).

وهذا القول من أكثر الأقوال سعة، وهو قريب في معناه من القول الأول، لاشتماله على أتباع النبي محمد ﷺ، وعدم تمييزهم عن المؤمنين من أتباع الأديان الأخرى.

القول الثاني عشر: هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهوّدوا، ولم يتنصّروا، ولم يصبئوا، وانتظروا خروج محمد ﷺ(٢٨).

وهذا القول يخالف مدلول تسمية النصرانية في الاستعمال القرآني، والذي يشير إلى عموم أتباع المسيح، ولعل من ذهب إلى هذا القول قصد أتباع آريوس الذين لم يعتقدوا بألوهية المسيح، غير أنه لا يعرف عن أتباع الآريوسية انتظارهم للنبي محمد ﷺ.

القول الثالث عشر: إنهم المؤمنون بصحف إبراهيم عليه السلام.

يقول صاحب جامع اللطائف: "إن الذين آمنوا بكتب الله المتقدمة مثل صحف إبراهيم، والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود، والذين آمنوا بما أتى به الإنجيل وهم النصارى، فهذا ترتيب على حسب ما ترتب تنزيل الله كتبه، فصحف إبراهيم عليه السلام قبل التوراة المنزلة على موسى عليه السلام والتوراة قبل الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام فرتبهم ﷻ في هذه الآية على ما رتبهم عليه في بعثة الرسالة"(٢٩).

ويؤخذ على هذا القول حصره لمعنى "الذين آمنوا" بالمؤمنين بصحف إبراهيم وهو حصر لا دليل عليه، بل الدليل على غيره فالقرآن الكريم أطلق تسمية المؤمنين على المؤمنين برسالة محمد –عليه الصلاة والسلام– ورسالات الأنبياء السابقين له.

مناقشة الأقوال والترجيح بينها:

أولاً: يدل الاختلاف الكبير بين المفسرين في معنى "الذين آمنوا" في الآية الكريمة على عمق الإشكال الذي تنطوي عليه إشكالية نجاة غير المسلم من المنظور التفسيري للنص القرآني، فقد اختلف المفسرون في المراد بقوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، هل هم المؤمنون الصادقون، أم المنافقون، ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين من هم؟ هل هم المؤمنون من الأمم الماضية، أم المؤمنون من أمة محمد، ثم كان الاختلاف من أي فئة من الأمم الماضية كانوا، ويعود سبب الاختلاف بين المفسرين في فهم هذه العبارة إلى الأسباب الآتية:

١- يذهب الرازي إلى أن سبب هذا الاختلاف "قوله تعالى في آخر الآية: **﴿مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر﴾**، فإن ذلك يقتضي أن يكون المراد من الإيمان في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الذين آمَنُواْ﴾** غير المراد منه في قوله تعالى: **﴿مَنْ آمَنَ بالله﴾**، ونظيره في الإشكال قوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ آمِنُواْ﴾**[النساء: ١٣٦]، فلأجل هذا الإشكال ذكروا وجوهاً"(٣٠).

٢- ذهب الآلوسي إلى أن فائدة "ذكر (الذين آمنوا) على هذا، مع أن الوعيد السابق كان في اليهود لتسكين حمية اليهود؛ بتسوية المؤمنين بهم، في أن كون كل في دينه قبل النسخ: يوجب الأجر وبعده: يوجب الحرمان، ..."(٣١).

٣- يرجع ابن عاشور سبب الإشكال إلى "ذكر الذين آمنوا في عداد هؤلاء وإجراء قوله (من آمن بالله) عليهم مع أنهم مؤمنون فذكرهم تحصيل الحاصل"(٣٢).

ويناقش الأقوال الواردة في معنى "الذين آمنوا" فيقول: "فقيل أريد به خصوص المؤمنين بألسنتهم فقط وهم المنافقون. وقيل أراد به الجميع وأراد بمن آمن من دام بالنسبة للمخلصين ومن أخلص بالنسبة للمنافقين. وهما جوابان في غاية البعد. وقيل يرجع قوله (من آمن بالله واليوم الآخر) لخصوص الذين هادوا والنصارى والصابئين دون المؤمنين بقرينة المقام، لأنهم وصفوا بالذين آمنوا وهو حسن. وعندي أنه لا حاجة إلى شيء من ذلك؛ لأن الشرط والصلة تركبت من شيئين الإيمان والعمل الصالح. والمخلصون وإن كان إيمانهم حاصلاً فقد بقي عليهم العمل الصالح فلما تركب الشرط أو الصلة من أمرين فقد علم كل أناس مشربهم، وترجع كل صفة لمن يفتقر إليها كلا أو بعضا"(٣٣).

وكلام ابن عاشور هذا يؤكد أن شروط النجاة تسري على عموم أتباع الأديان الذين ساروا على هدي أنبيائهم ومنهم المؤمنون بنبوة النبي محمد ﷺ من خلال تأكيده على شرطي الإيمان والعمل الصالح.

ثانياً: يمكن تلخيص مجمل الأقوال الثلاثة عشر إلى اتجاهين اثنين: أولهما: من جعل المقصود بالذين آمنوا " يقع ضمن دائرة الإسلام والمسلمين، وثانيهما: من جعل المقصود في غير المسلمين وهذا الاتجاه بعيد؛ لأن ذكر الذين آمنوا قد جاء مغايرا لما تقتضيه واو العطف السابقة لذكر أتباع الأديان الأخرى.

ثالثاً: الراجح من هذه الأقوال هو القول الثالث الذي ذهب إلى أن المقصود بالذين آمنوا؛ من كان على دين محمد ﷺ سواء كانوا من المخلصين أم من المنافقين؛ لأن الأصل في إطلاق تسمية الذين آمنوا في القرآن هو من آمن برسالة محمد ﷺ على وجه العموم، وهذا القول يؤكد أن بلوغ النجاة ليست بمجرد الانتساب لاسم دين بعينه وإنما بما يحققه من الإيمان بأصول العقائد والعمل الصالح.

المطلب الثالث: المقصود بقوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾:

يمكن تصنيف أقوال المفسرين في فهم المقصود بقوله تعالى في الآية "من آمن بالله" إلى أربعة أقوال:

القول الأول: هم أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد ﷺ:

يقول الطبري: "فكان إيمان اليهود: أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى، حتى جاء عيسى. فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً. وإيمان النصارى: أنه من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه، حتى جاء محمد ﷺ، فمن لم يتبع محمدًا منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكاً"(٣٤).

وهذا القول يبدو مقبولاً لمن كان يهودياً ثم آمن بعيسى، أو كان نصرانياً ثم آمن بمحمد، لكنه يستشكل فيما يتعلق بالمؤمن الذي لم يتمكن من التحقق من وجوب أتباع الرسالة اللاحقة.

وفي الإجابة عن سؤال: وكيف يؤمن المؤمن؟ يقول الطبري: "معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع، ثباته على إيمانه وتركه تبديله. وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين، فالتصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به، فمن يؤمن منهم بمحمد وبما جاء به واليوم الآخر، ويعمل صالحا، فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك، فله ثواب عمله وأجره عند ربه، كما وصف جل ثناؤه"(٣٥).

ومن أكثر المسائل إشكالاً في فهم الآية الكريمة، مسألة اشتمال الإيمان بالله على الإيمان بنبوة محمد ﷺ، وهنا يذهب الرازي إلى إدخال الإيمان بالرسل ضمن الإيمان بالله: "واعلم أنه قد دخل في الإيمان بالله الإيمان بما أوجبه، أعني الإيمان

برسله ودخل في الإيمان باليوم الآخر جميع أحكام الآخرة، فهذان القولان قد جمعا كل ما يتصل بالأديان في حال التكليف، وفي حال الآخرة من ثواب وعقاب"(٣٦).

ويعترض على كلام الرازي بأن الإيمان بالآخرة يمكن أن يدخل كذلك بالإيمان بالله، فلماذا خصه بالذكر دون الإيمان بالرسل أو الملائكة؟

وما قاله الرازي من جعل الإيمان بالنبي محمد مندرجا في الإيمان بالله يقوله السمرقندي: "ولم يذكر في الآية الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأنه لما ذكر الإيمان بالله تعالى فقد دخل فيه الإيمان بالنبي محمد ﷺ"(٣٧).

ويذهب ابن عرفة طريقا آخر لتسويغ عدم ذكر الإيمان بنبوة محمد في الآية من خلال فهمه بأن المداومة على الإيمان في "الأديان الثلاثة" يستلزم الإيمان بنبوة محمد –عليه الصلاة والسلام–: "وإيمان اليهود والنصارى والصّابئين إن شاء فهو حقيقة. ويمكن أن يراد بالجميع المداومة على الإيمان؛ لأن النصارى إذا داوموا على الإيمان بملة نبيهم يؤمنون (بمحمد) ﷺ لأن (من) ملة نبيهم ﷺ الإيمان بملة سيدنا محمد ﷺ، وإن لم يؤمنوا به فلم يؤمنوا بملّتهم (قط)"(٣٨).

ويذهب الشوكاني إلى أن المراد بالإيمان في الآية يدخل فيه الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، يقول: "هو ما بينه رسول الله من قوله لما سأله جبريل عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، ولا يتصف بهذا الإيمان إلا من دخل في الملة الإسلامية، فمن لم يؤمن بمحمد ﷺ ولا بالقرآن فليس بمؤمن، ومن آمن بهما صار مسلماً مؤمناً، ولم يبق يهودياً، ولا نصرانياً، ولا مجوسياً"(٣٩).

وقريب من قول الشوكاني قول ابن عاشور: "ومعنى من آمن بالله الإيمان الكامل وهو الإيمان برسالة محمد ﷺ بقرينة المقام وقرينة قوله "وعمل صالحا" إذ شرط قبول الأعمال الإيمان الشرعي؛ لقوله تعالى: "ثم كان من الذين آمنوا"(٤٠).

ويقول أطفيش: "ومن لم يؤمن به (يعنى النبي محمد)، وبالقرآن لم ينتفع بعمله فهو مشرك في النار، وهو غير متبع للتوراة والإنجيل، بل كافر بهما أيضاً، لأن فيهما الأمر بأتباعه ﷺ"(٤١).

ويلحظ هنا أن تكفير أتباع اليهودية والنصرانية بسبب عدم اعتقادهم بنبوة محمد ﷺ، يقوم أساساً على معرفتهم بصدق نبوّته والقطع بأن نصوص التوراة والإنجيل قد بشّرت بنبوته وأنهم يعلمون ذلك وينكرونه، وهو تأسيس ينطوي على مجازفة ليست باليسيرة، فنصوص البشارات التي في هذين الكتابين هي محل اختلاف وليست قطعية في دلالتها على نبوة محمد ﷺ، وهي نصوص أقرب إلى المتشابه منها إلى المحكم، وعلى هذا يصبح القول بهلاكهم بسبب خروجهم على ما جاء في كتبهم من نصوص ظنية وهو أمر لا يصح من المنظور الإسلامي الذي لا يكفّر أحدا لتأوله نصا غير قطعي الدلالة. وأما نصوص الآيات القرآنية التي تقطع بمعرفتهم بحقيقة نبوة محمد ﷺ، كما في قوله: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[البقرة: ١٤٦]، **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾**[الأعراف: ١٥٧]، فهذه نصوص قد تكون موجودة لدى بعض الفرق من أهل الكتاب لكنها ليست موجودة بالنسخ التي نجدها بين أيديهم اليوم.

القول الثاني: هم المصدّقون بالله والبعث والجزاء من أتباع الأديان الأربعة:

جاء في تفسير مقاتل: "من صدّق منهم بالله ﷻ، بأنه واحد لا شريك له، وصدّق بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، بأنه كائن، **﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** من نزول العذاب، **﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[البقرة: ٦٢] عند الموت، يقول: إن الذين آمنوا، يعنى صدقوا بتوحيد الله تعالى: ومن آمن من الذين هادوا ومن النصارى ومن الصابئين، من آمن منهم بالله واليوم الآخر فيما تقدم إلى آخر الآية(٤٢).

ويدل على هذا القول ما رواه الطبري بإسناده عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فأنزل الله تعالى بعد هذا ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥](٤٣).

ويعقب الطبري على هذه الرواية بكلام غاية في الأهمية فيقول: "وهذا الخبر يدل على أن ابن عباس كان يرى من الآية أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحًا من اليهود والنصارى والصابئين بالنجاة في الآخرة ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥](٤٤).

وفي نهاية كلامه يؤكد الطبري عموم الثواب الإلهي لكل من ذكرتهم الآية فيقول: "لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بالأجر على العمل الصالح مع الإيمان بعض خلقه دون بعض منهم، والخبر بقوله: من آمن بالله واليوم الآخر، عن جميع ما ذكر في أول الآية"(٤٥).

ويؤيد هذا المعنى ما رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد بإسناده عن ابن عمرو –رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ألا إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، وأوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر، ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، وأوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين: أي ربنا أعطيتهم قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا منهم. فقال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا. قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء"(٤٦).

وذكر البغوي في تفسيره: "من آمن بالله واليوم الآخر من هذه الأصناف بالقلب واللسان وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم"(٤٧).

يقول القرطبي: "لا خلاف في أن اليهود والنصارى أهل كتاب، ولأجل كتابهم جاز نكاح نسائهم وأكل طعامهم"(٤٨). والقرطبي يشير بهذا القول إلى أن استخدام القرآن تسمية أهل الكتاب هو ما ميّز التعامل معهم عن المشركين؛ لأن القرآن قد حرم نكاح المشركات في قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[البقرة، ٢٢١]، وقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[الممتحنة: ١٠].

ويلاحظ أن القول الثاني هو أشمل الأقوال وأنسبها لمناسبة النزول.

<u>القول الثالث: هم المؤمنون من أتباع الأديان الثلاثة قبل نسخها:</u>

يذهب هذا القول إلى أن المقصود بقوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ هم جميع المؤمنين من أتباع الأديان الثلاثة قبل النسخ. ويقصد بالنسخ هنا بعثة محمد ﷺ.

يقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ، مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملاً بمقتضى شرعه"(٤٩).

<u>القول الرابع: هم المؤمنون من أتباع الأديان الثلاثة الذين لم يبدلوا ولم يغيروا:</u>

يقول الثعلبي: "﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني: الذين كانوا على دين موسى ولم يبدّلوا ولم يغيّروا.

﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾: الذين كانوا على دين عيسى ولم يبدّلوا وماتوا على ذلك.

قالوا: وهذان اسمان لزماهم زمن موسى وعيسى (عليهما السلام)، حيث كانوا على الحق فبقي الاسم عليهم كما بقي

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 1, Art. 7

الإسلام على أمّة محمد ﷺ والصابئين زمن استقامتهم من آمن منهم، أي: مات منهم وهو مؤمن؛ لأنّ حقيقة الإيمان المؤاخاة(٥٠).

وهذا القول قريب من القول الثاني لأنه يشتمل على كل من آمن من أتباع الأديان الثلاثة بما جاءهم من الشرائع والرسالات.

والفرق بين القولين الرابع والثالث أن القول الثالث يقتضي نفي صحة إيمان أتباع الأديان المذكورة بمجرد مجيء الإسلام، في حين أن القول الرابع يقر بصحة إيمانهم ما لم تبلغهم دعوة الإسلام.

القول الخامس: هم أتباع الأديان الثلاثة الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام:

يقول الطنطاوي في الوسيط: "والإيمان المشار إليه في قوله: {مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر} يفسره بعض العلماء بالنسبة لليهود والنصارى والصابئين بمعنى صدور الإيمان منهم على النحو الذي قرره الإسلام. فمن لم تبلغه منهم دعوة الإسلام، وكان ينتمي إلى دين صحيح في أصله بحيث يؤمن بالله واليوم الآخر ويقوم بالعمل الصالح على الوجه الذي يرشده إليه دينه، فله أجره على ذلك عند ربه"(٥١).

ويقول الآلوسي: "ومنهم من فسرها بمن كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه، فيعم الحكم المخلصين من أمة محمد ﷺ، والمنافقين الذين تابوا، واليهود والنصارى الذين ماتوا قبل التحريف والنسخ والصابئين الذين ماتوا زمن استقامة أمرهم إن قيل: إن لهم ديناً، وكذا يعم اليهود والصابئين الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وماتوا في زمنه، وكذا من آمن من هؤلاء الفرق بمحمد ﷺ"(٥٢).

ويقول السعدي: "فأخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة، واليهود والنصارى، والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر، وصدقوا رسلهم، فإن لهم الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ..."(٥٣).

ويُرجح الرازي أن معنى قوله تعالى: **﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** يتعلق بالآخرة لا في الدنيا "فقيل: أراد زوال الخوف والحزن عنهم في الدنيا ومنهم من قال في الآخرة في حال الثواب، وهذا أصح لأن قوله: **﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** عام في النفي، وكذلك: **﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** وهذه الصفة لا تحصل في الدنيا وخصوصاً في المكلفين لأنهم في كل وقت لا ينفكون من خوف وحزن، إما في أسباب الدنيا وإما في أمور الآخرة، فكأنه سبحانه وعدهم في الآخرة بالأجر، ثم بين أن من صفة ذلك الأجر أن يكون خالياً عن الخوف والحزن، وذلك يوجب أن يكون نعيمهم دائماً؛ لأنهم لو جوزوا كونه منقطعاً لاعتراهم الحزن العظيم"(٥٤).

والأقرب للصواب فيما يتعلق بمعنى "من آمن" من أتباع الأديان الثلاثة أنه يشمل من كانوا قبل زمن البعثة ومن كانوا بعدها ما داموا على عموم شريعتهم ولم يتبين لهم حقيقة الإسلام، وهذا المعنى أنسب لسبب النزول وعموم اللفظ الذي يشمل جميع أتباع الأديان الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات.

وفي هذا الصدد يقول القشيري –رحمه الله–: "اختلاف الطريق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول، فمن صدَّق الحق سبحانه في آياته، وآمن بما أخبر من حقه وصفاته، فتبايُن الشرع واختلاف وقوع الاسم غيرُ قادح في استحقاق الرضوان؛ لذلك قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾**، ثم قال: **﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾**. أي إذا اتفقوا في المعارف فالكُلُّ لهم حُسْنُ المآب، وجزيلُ الثواب. والمؤمن مَنْ كان في آمان الحق –سبحانه–، ومَنْ كان في أمانه ﷻ فَبالحريِّ **﴿أَلاَّ خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[آل عمران: ١٧٠]"(٥٥).

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss1/7

المطلب الرابع: علاقة الآية بما قبلها وما بعدها ودلالاتها:

للسياق أهمية كبيرة في فهم معنى الآية، فما جاء قبل الآية وما بعدها يشكل بناء متصلا يهدف إلى بلوغ المعنى الأشمل، وفي هذا الصدد يقول الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذين آمَنُواْ﴾ "لما انجرَّ الكلام إلى ذكر وعيد أهل الكتاب قرن به ما يتضمن الوعد جرياً على عادته –سبحانه– من ذكر الترغيب والترهيب، وبهذا يتضح وجه توسيط هذه الآية وما قبلها بين تعداد النعم، ... وفائدة ذكر (الذين آمنوا) على هذا مع أن الوعيد السابق كان في اليهود لتسكين حمية اليهود بتسوية المؤمنين بهم، في أن كون كل في دينه قبل النسخ يوجب الأجر وبعده يوجب الحرمان"[٥٦].

ويلاحظ على كلام الآلوسي هنا:

١- إقراره بإمكانية النجاة لأتباع الأديان الثلاثة قبل نسخها بمجيء الإسلام.

٢- إن مجيء الإسلام نسخ الأديان السابقة وإن الحرمان هو مصير من لا يتبع الإسلام.

٣- إن وقوع النسخ يبقى محل تفكر عند أتباع الأديان، ويبقى الحكم على حاله حتى يتجلى لهم الناسخ، فليس مجرد مجيء الناسخ في ذاته يقتضي وقوع الحرمان وإنما معرفة الإنسان به وترك أتباعه.

٤- إن ذكر المؤمنين من أمة محمد مع اليهود وأتباع الأديان جاء لتسكين حمية اليهود، وهذا كلام يجعل الآية تبتعد عن مضمونها الأعمق وهو تأكيد عدالة الله مع عموم خلقه.

يقول ابن عطية: "واتصال هذه الآية بالتي قبلها هو أن قيل لهم: ليس الحق في نفسه على ما تزعمون من أنكم أبناء الله وأحباؤه، بل لستم على شيء مستقيم حتى تؤمنوا وتقيموا الكتب المنزلة، ثم استأنف الإخبار عن الحق في نفسه بأنه من آمن في كل العالم فهو الفائز الذي لا خوف عليه"[٥٧].

وهنا نلحظ دقه كلام ابن عطية من خلال تفريقه بين الحق في نفسه، وما يزعمه أهل الكتاب من النجاة دون خلق الله، فالتعويل في النجاة هو على الإيمان وإقامة الكتب المنزلة، وليس على الأماني، أو على اسم يولد عليه الإنسان.

أكد السعدي أن الآية جاءت للبيان والمدح وليس مجرد تسكين للعواطف: "أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه، ولما كان أيضا ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص بهم. ذكر تعالى حكماً عاماً يشمل الطوائف كلها؛ ليتضح الحق، ويزول التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين"[٥٨].

وكلام السعدي هذا كلام جليل يقتضي أن من حقق الأركان الثلاثة للنجاة كان من أهلها من أي طوائف الناس كان.

إن علة كثير من اليهود وأحد أهم أسباب ضلالهم تكمن في قصرهم النجاة على أنفسهم دون غيرهم، **﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**[البقرة: ١١١] وهذه الآية جاءت في نفس السورة بعد آية النجاة.

المطلب الخامس: تشابه الآية مع آيتي المائدة والحج ودلالاتها:

أثار التشابه الكبير بين "آية النجاة"، وآيتي (المائدة: ٦٩) و(الحج: ١٧)، عدداً من التساؤلات، والإشكالات في المعاني، والدلالات المستفادة من هذا التشابه، وما يترتب على ذلك من أثر في فهم الآية.

تتشابه آية البقرة مع آيتين اثنتين ذكرت كل منهما أتباع الأديان الأخرى بطريقة تشبه ما جاء في آية البقرة، وأول هاتين الآيتين وأكثرهما تشابها هي آية المائدة: **﴿إِنَّ الذين آمَنُواْ والذين هَادُواْ والصابئون والنصارى مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر**

وعَمِلَ صالحا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يحزنون﴾[المائدة: ٦٩].

الآية الثانية هي آية الحج: **﴿إِنَّ الذين آمَنُواْ والذين هَادُواْ والصابئين والنصارى والمجوس والذين أَشْرَكُواْ إِنَّ الله يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة إِنَّ الله على كل شيء شهيد﴾**[الحج: ١٧].

والملاحظة الأولى في هذا السياق: هو التشابه الكبير بين آيتي البقرة والمائدة في ثلاثة وجوه وهي:

أولاً: أسماء أتباع الأديان الأربعة **﴿الذين آمَنُواْ والذين هَادُواْ والصابئون والنصارى﴾**.

ثانياً: أركان النجاة الثلاثةَ **﴿مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر وعَمِلَ صالحا﴾**.

ثالثاً: التصريح بالنجاة يوم القيامة **﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يحزنون﴾**.

أما آية الحج فقد أضافت المجوس والمشركين إلى جانب "الأديان الأربعة" دون ذكر أركان النجاة أو التأكيد على نجاتهم، إن التزموا بتلك الأركان.

ولعل السبب في عدم ذكر آية الحج لمسألة النجاة وأركانها الثلاثة، يعود إلى أن المجوس والمشركين هم أقل تشابها في عقائدهم من أتباع الأديان الثلاثة، الذين ذكرتهم آيتي البقرة والمائدة إلى جانب المؤمنين، ونذكر هنا كيف كان تعاطف المشركين مع انتصار الفرس على الروم في عهد النبي وكيف نزل القرآن في سورة الروم مبشرا بنصرهم.

والملاحظة الثانية: هي ما نجده في كلام بعض المفسرين بخصوص تركيزهم على الجوانب البلاغية واللغوية للاختلاف أكثر من تركيزهم على الجوانب المعرفية المتعلقة بالنظرة القرآنية لنجاة أتباع الأديان الأخرى، وإمكانية نجاتهم.

وفي سياق الإجابة على هذه الإشكالات حول اختلاف هذه الآيات بتقديم الفرق وتأخيرها يقول الخطيب الإسكافي مبتدئا بآية البقرة: "إن الذين أمنوا بكتب الله المتقدمة مثل صحف إبراهيم، والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود، والذين آمنوا بما أتى به الإنجيل وهم النصارى، فهذا ترتيب على حسب ما ترتب تنزيل الله كتبه، ... ثم أتى بذكر "الصابئين" وهم الذين لا يثبتون على دين، وينتقلون من ملة إلى ملة، ولا كتاب لهم، ... فوجب أن يكونوا متأخرين عن أهل الكتاب، وأما بعد هذا الترتيب فترتيبهم في سورة المائدة وتقديم الصابئين على النصارى ورفعه هنا ونصبه هناك ترتيب ثان، فالأول على ترتيب الكتب، والثاني على ترتيب الأزمنة، ... وأما الترتيب الثالث في سورة الحج: فترتيب الأزمنة التي لا نية للتأخير معه، لأنه لم يقصد في هذا المكان أهل الكتب إذ كان أكثر من ذكر ممن لا كتب لهم وهم: الصابئون والمجوس والذين أشركوا عبدة الأوثان"[٥٩].

وأما سبب عدم تعرض آية الحج لمسألة النجاة وأركانها الثلاثة فقد أرشدت المؤمنين بأن الذي يفصل بين أتباع الأديان هو الله وحده يوم القيامة.

فالقول بنجاة أتباع الأديان الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات وفق آيتي البقرة والمائدة لا يتنافى وما جاء في آية الحج التي أرجأت الفصل بينهم إلى يوم القيامة، فإرجاء الفصل بين أتباع الأديان إلى يوم القيامة هو تأكيد على العدالة الإلهية بين أتباع الأديان.

والنتيجة الأكثر أهمية التي يمكن الخروج بها من مقارنة الآيات الثلاثة، والتي تتصل بإمكانية نجاة أتباع الأديان الأخرى، هي أن آية الحج تؤكد أن نجاة أتباع الأديان الأخرى ليست معلقة بإيمانهم بما جاء به الإسلام؛ لأن الأمر لو كان كذلك لذكر **﴿المجوس والذين أَشْرَكُواْ﴾** فيمن ذكر في آيتي البقرة والمائدة. فلا خلاف على نجاة من يتبع الإسلام سواء كان من أهل الكتاب أم المشركين أم الدهرية. فآية الحج هي الدليل الأكبر على أن مقصود "آية النجاة" في سورة البقرة هو أتباع الأديان الثلاثة المذكورة الذين يؤمنون بأركان النجاة الثلاثة سواء من آمن منهم برسالة محمد ﷺ أم لم يؤمن، فسبحان من لا يكلف نفسا إلا وسعها، وسبحان من لا يظلم الناس مثقال ذرة.

المطلب السادس: القول بنسخ الآية ودلالاته:

اختلف المفسرون في نسخ "آية النجاة"، وفي هذا السياق يذكر القرطبي قولين في المسألة، أحدهما: يرتكز على رواية ابْنِ عَبَّاسٍ والتي تقول: "إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا**﴾[الحج: ١٧] الآية. منسوخ بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[آل عمران: ٨٥] الْآيَةَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ. وَهِيَ فِيمَنْ ثَبَتَ عَلَى إِيمَانِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ"(٦٠).

ويقول ابن الجوزي حول نسخ الآية: "فيه قولان: أحدهما: أنها محكمة، قاله مجاهد والضحاك في آخرين، وقدروا فيها: إن الذين آمنوا، ومن آمن من الذين هادوا. والثاني: أنها منسوخة بقوله: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، ذكره جماعة من المفسّرين"(٦١).

ويروي الطبري بإسناده عن ابن عباس ﷺ قوله: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين إلى قولـه: ولا هـم يحزنون. فأنزل الله تعالى بعد هذا ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[آل عمران: ٨٥](٦٢).

ويعلق ابن كثير على ما جاء عن ابن عباس في نسخ هذه الآية، فيقول "فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقًا لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه الله بما بعثه به، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة "(٦٣).

وجاء في التسهيل: "قال ابن عباس: نسختها ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[آل عمران: ٨٥] وقيل معناها: أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيماناً صحيحاً، فله أجره، فيكون في حق المؤمنين الثبات إلى الموت، وفي حق غيرهم الدخول في الإسلام، فلا نسخ، وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ فلا نسخ(٦٤).

والقول بنسخ الآية يؤكد أن بعض المفسرين ظنوا بأن معنى الآية الذي يُصرّح بنجاة أتباع الأديان الثلاثة مناقض لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[آل عمران: ٨٥].

ويذهب ابن عاشور مذهبا آخر في نفي نسخ الآية، وذلك من خلال نفيه الأسباب المؤدية إلى القول بنسخها، وتأويل معنى الإيمان المطلوب من أتباع الأديان الثلاثة على أنه مشتمل على الإيمان برسالة محمد –عليه الصلاة والسلام–، فيقول: "ومعنى من آمن بالله الإيمان الكامل وهو الإيمان برسالة محمد ﷺ بقرينة المقام وقرينة قوله: (وعمل صالحا) إذ شرط قبول الأعمال الإيمان الشرعي لقوله تعالى: (ثم كان من الذين آمنوا). وقد عدَّ عدم الإيمان برسالة محمد ﷺ بمنزلة عدم الإيمان بالله؛ لأن مكابرة المعجزات القائمة مقام تصديق الله تعالى للرسول المتحدي بها يؤول إلى تكذيب الله تعالى في ذلك التصديق، فذلك المكابر غير مؤمن بالله الإيمان الحق. وبهذا يعلم أن لا وجه لدعوى كون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)"(٦٥).

ويرى ابن عاشور أن القائلين بنسخ الآية قد فهموا أن معنى الآية يتعلق بفترة محدودة أمهل فيها الله أتباع الأديان الثلاثة لدخول الإسلام "وأما القائلون بأنها منسوخة؛ فأحسب أن تأويلها عندهم أن الله أمهلهم في أول تلقي دعوة رسول الله ﷺ إلى أن ينظروا، فلما عاندوا نسخها بقوله (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)؛ لئلا يفضي قولهم إلى دعوى نسخ الخبر"(٦٦).

وحاصل القول في مسألة نسخ الآية أنه لا دليل عليه سوى رواية ابن عباس، بالإضافة إلى مخالفته لمعنى النسخ الذي يتعلق بالأحكام العملية دون الأخبار، ولو صح القول بنسخ الآية لما اختلف المفسرون كل ذلك الاختلاف في معنى الآية. بل وخلافا لما يرجوه القائلون بنسخها، فإن القول بنسخ الآية هو دليل على أن المعنى الظاهر للآية يؤيد القول بنجاة المؤمنين من أتباع الأديان المذكورة ما داموا يؤمنون بالأركان الثلاثة للنجاة، وذلك هو ميزان العدالة الإلهية المطلقة.

الخاتمة:

١- من معالم العدالة الإلهية أن جعل الله تعالى للنجاة أركانا ثلاثة متاحة للناس جميعا وهي: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح. وإذا كان عموم المفسرين قد جعلوا الإيمان بنبوة محمد ضمن الإيمان بالله، فإن ذكر الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح دون ذكر الإيمان بنبوة مخصوصة، يضعف من هذا القول فجميعها قد تكون متضمنة بالإيمان بالله، فالآية دليل على أن النجاة تتحصل لمن أقام هذه الأركان الثلاثة التي حددتها الآية. ومن تأمل في هذه الاركان تحقق من اشتمالها على أصول الحقائق والفضائل التي يبحث عنها أرباب الشرائع وأتباع الأديان.

٢- إن الآية تخاطب أتباع النبي محمد وأتباع الأديان الثلاثة المذكورة، ولا تقتصر على أصحاب سلمان الذين نزلت فيهم الآية فالعدالة الإلهية تشمل أصحاب سليمان وغيرهم ممن كان على شريعة أخرى، وهؤلاء وإن كانوا يسمعون بالنبي محمد فإنهم لا يعرفون حقيقة دعوته؛ لأن إقامة الحجة ليست بملامسة الدعوة للأسماع وإنما ببلوغها شغاف القلوب وبيان حقائق الأمور، وعن مسؤولية عدم اعتناق أتباع الأديان الأخرى للإسلام تقع في الأساس على المسلمين، كما أن اعتناق الإنسان لديانة جديدة ليس بالأمر اليسير في مجتمعاتنا الإنسانية بسبب ما ينطوي عليه من عوائق ثقافية واجتماعية ونفسية بالإضافة إلى ارتباط الدين بالهويات القومية والعرقية.

وإذا كنا نستبعد أن لا يعرف غير المسلمين الإسلام لكثرة أتباعه وذيوع صيته، فإننا نستطيع أن نكتشف خلل في هذه المقولة عندما نختبر معرفة عموم المسلمين بالأديان الأخرى، ثم كيف لنا أن نطلب من غير المسلمين ضرورة تحصيل المعرفة الصحيحة بالإسلام، وكثير من المسلمين الذين ولدوا على الإسلام هم أنفسهم لا يعرفون حقائقه ولا يجسدون رسالته، والحق أننا لو أمعنا النظر قليلا لوجدنا المسؤولية الأكبر تقع على كاهل من يدعي الإسلام أكثر ممن ولد على ملّة أخرى، وأعتقد أنها الحق كلّه.

٣- من غير اليسير على معظم الناس أن يدرسوا ويبحثوا في حقائق الأديان كلها؛ ليبلغوا في النهاية "الدين القيم" فهذا بحد ذاته محل ابتلاء من الله لخلقه، فالذي جعل الناس شعوبا وقبائل مختلفة هو الذي شاءت حكمته أن يكونوا على عقائد وشرائع متعددة، فالتعارف والتعلم والاختلاف والتدافع والنقص والخطأ والجهل هي جميعها حاضرة في التكوين البشري.

٤- يتصل الحكم بنجاة الناس على فهم شروط التكليف وقدر الوسع البشري، فالله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، والوسع البشري يختلف من إنسان إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر من حيث القدرة على اكتساب المعارف واكتشاف الحقائق؛ ولذلك جعل الله حساب الخلق عليه وليس على أحد من خلقه مهما علت مكانته، فقال لخير خلقه: **﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**[الأنعام ٥٢].

٥- يؤكد ذكر الذين آمنوا في مطلع الآية مستقلا عن أتباع الأديان الأخرى المذكورة أن المقصود هم أتباع رسالة محمد -عليه الصلاة والسلام-، وفي هذا تأكيد على عموم العدالة الإلهية، فالنجاة ليست مرهونة باسم أو لقب **﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أهل الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾**[النساء ١٢٣]، **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**[الزلزلة: ٧، ٨].

٦- اختلاف المفسرين على المقصود بقوله تعالى: "الذين آمنوا" يؤكد أن إشكالية فهم المفسرين للآية وشعورهم بإمكانية ذهاب المعنى إلى نجاة أتباع الأديان الثلاثة.

٧- تشير آية النجاة بمعناها العميق، إلى أن القرآن لا ينظر إلى أتباع الأديان الأخرى نظرة تكفيرية تعميمية تخرجهم بعيدا عن مفردات الرحمة والعدالة الإلهية، وأن القرآن لا يساوي بين من اتبع وعمل بما بلغه وسعه ومعرفته من الشرائع،

ومن عاند وأنكر واتبع هواه!؟

٨- يتجاوز الخطاب القرآني منطق شيطنة الآخر وإلغائه، ويفتح أمام الناس جميعا أبواب الرحمة الإلهية، واستنهض دوافع الخير والفضيلة الكامنة في كل منهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف: ٣٠].

٩- يشير اختلاف أقوال المفسرين في معنى "الذين آمنوا" في مطلع الآية على اشتباه معنى الآية لدى معظم المفسرين، ومرد ذلك لغموض الحكمة من وراء وضع الذين آمنوا (المسلمين) على صعيد واحد أمام أتباع الأديان الأخرى وخضوعهم لشروط النجاة ذاتها مع أتباع الملل الأخرى مما يشعر بعدم التميُّز وفقدان الاستعلاء.

١٠- عدم اشتمال الآية على ذكر نبوة محمد ﷺ كان له أثر كبير في طريقة تفسير الآية، وجعل بعض المفسرين يدرجون الإيمان بالنبي محمد في أركان الإيمان الثلاثة.

١١- ومما خلصت إليه الدراسة، أن "آية الفصل" في سورة الحج هي دليل واضح على صعوبة الحكم على أتباع الأديان الأخرى بالهلاك والحرمان من الرحمة الإلهية، فقوله تعالى: "الله يفصل بينهم يوم القيامة" ينبغي أن ينبه المبادر إلى الحكم بهلاك أغلبية خلق الله إلى خطورة المسألة، فالفصل هو لله وحده يوم الفصل، أما العباد فعليهم العمل وبذل النصح للناس فالأمر لله وحده من قبل ومن بعد.

١٢- النتيجة الأكثر أهمية والتي يمكن الخروج بها من مقارنة "الآيات الثلاثة"، والتي تتصل بإمكانية نجاة أتباع الأديان الأخرى، هي أن آية الحج تؤكد أن معنى الإيمان في آية النجاة هو على عمومه وليس مقتصرا على خصوص إيمانهم برسالة محمد -عليه الصلاة والسلام-، وإن كان هو الأتم والأكمل؛ لأن الأمر لو كان كذلك لذكر "المجوس والذين أَشْرَكُواْ" فيمن ذكر، وما كان لتخصيص "الأديان الثلاثة" معنى في آية البقرة. فمن يعتنق الإسلام من أتباع أي دين كان فليست نجاته محل خلاف سواء أكان من أهل الكتاب، أم المشركين، أم غيرهم. فآية الحج هي الدليل الأكبر على أن مقصود "آية النجاة" في سورة البقرة، هو أن أتباع الأديان الثلاثة، المذكورة من آمن منهم بأركان النجاة الثلاثة سواء من كان على دينه قبل البعثة، أو أكمل هذا الإيمان بالإيمان برسالة محمد ﷺ، أو بقي على شريعة دينه لعلَّةٍ حالت دون معرفته حقيقة الإسلام، فسبحان من ابتلى الخلق باختلافهم، وسبحان من سبقت رحمته غضبه ولا يظلم مثقال ذرة.

الهوامش:

(١) محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢، ص١٥٠-١٥٤.

(٢) الطبري، **جامع البيان**، ج٢، ص١٥٤-١٥٥.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، **تفسيره الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت، ج١، ص١٧٩.

(٤) السيوطي، **الدر المنثور**، ج١، ص١٧٩.

(٥) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص١٤٣.

(٦) محمود بن علي النيسابوري (ت ٥٥٣هـ)، **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**، مكة، ١٩٩٨م، ج١، ص٨٨.

(٧) علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ)، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص١٣١.

(٨) محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م، ج١، ص٥٣٢.

(٩) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان**، الرياض، ١٤١٠هـ، ج١، ص٩٢.

(١٠) عبد الحق بن غالب بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢، ج١، ص١٥٦.

Published by Arab Journals Platform, 2018

(١١) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج٢، ص٢١٩.

(١٢) محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ج١، ص١٤٦.

(١٣) محمود بن عبد الله الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج١، ص٢٧٩.

(١٤) الشوكاني، **فتح القدير**، دار الفكر، ط٣، ١٩٧٣م، ج١، ص٩٣.

(١٥) عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٨٤.

(١٦) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٧٩.

(١٧) محمد بن يوسف أطفيش، **هميان الزاد إلى دار المعاد**، موقع التفاسير، http://www.altafsir.com.

(١٨) محمد بن يوسف أطفيش، **هميان الزاد إلى دار المعاد**، موقع التفاسير، http://www.altafsir.com.

(١٩) محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠، ج٣، ص٥٣٦.

(٢٠) علي بن أحمد الواحدي، **التفسير البسيط**، جامعة الامام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠ هـ، ج٢، ص٦١٩.

(٢١) أحمد بن محمد الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ج١، ص٢١٠.

(٢٢) الرازي، ج٣، ص٥٣٦.

(٢٣) الآلوسي. **روح المعاني**، ج١، ص٢٧٩.

(٢٤) أبي الفرج جمال الدين البغدادي، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ج١، ص٧٧.

(٢٥) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٧٩.

(٢٦) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٧٩

(٢٧) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج٢، ص٢١٩.

(٢٨) أحمد بن محمد الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج١، ص٢٠٩.

(٢٩) عبد الرحمن بن محمد القماش، **جامع لطائف التفسير أنظر الموسوعة الشاملة**، www.islamport.com.

(٣٠) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٥٣٥، ٥٣٦.

(٣١) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٨٠.

(٣٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٣٩.

(٣٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٣٩.

(٣٤) الطبري، **جامع البيان**، ج٢، ص١٥٤.

(٣٥) الطبري، ج٢، ص١٤٨.

(٣٦) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٥٣٧.

(٣٧) نصر بن محمد السمرقندي، **بحر العلوم**، ج١، ص٥٩.

(٣٨) محمد بن محمد ابن عرفة (٨٠٣هـ)، **تفسير ابن عرفة**، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٨م، ج١، ص١٢٢.

(٣٩) الشوكاني، **فتح القدير**، ج١، ص٩٣، ٩٤.

(٤٠) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٣٩.

(٤١) أطفيش، **هميان الزاد إلى دار المعاد**، موقع التفاسير، http://www.altafsir.com.

(٤٢) مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ، ج١، ص١١٢.

(٤٣) الطبري، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص١٥٥.

(٤٤) **المرجع السابق**، ج٢، ص١٥٥.

(٤٥) **المرجع السابق**، ج٢، ص١٥٥.

(٤٦) البخاري، **خلق افعال العباد**

(٤٧) الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ، ج١، ص١٢٥.

(٤٨) محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢، ١٩٦٤، ج١، ص٤٣٤.

(٤٩) البيضاوي، ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٨٥.

(٥٠) أحمد بن محمد الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج١، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٥١) محمد سيد طنطاوي، **الوسيط في تفسير القرآن الكريم**، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١، ص١٥٧.

(٥٢) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٨٠.

(٥٣) السعدي، **تيسير الكريم**، ج١، ص٩٢.

(٥٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٥٣٧.

(٥٥) عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، **لطائف الإشارات**، تحقيق د إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، ، ط٣، ٢٠٠٠م، ج١، ص٩٦.

(٥٦) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٨٠.

(٥٧) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج٢، ص٢٢٠.

(٥٨) السعدي، **تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان**، ج١، ص٩٣.

(٥٩) محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، http: //library.tafsir.net/scholar/38.

(٦٠) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٤٣٦.

(٦١) جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٧٣.

(٦٢) الطبري، **جامع البيان**، ج٢، ص١٥٥.

(٦٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، ج١، ص١٠٣.

(٦٤) محمد بن أحمد ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الارقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ج١، ص٩٥.

(٦٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٣٩.

(٦٦) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٣٩.